

شعراء الجزائر في القرن السابع عشر ميلادي الباحث بن طوير بارودي

أ.د عبد الحفيظ بورديم¹

تاريخ الإرسال: 17- 02- 2019 تاريخ القبول: 23- 07- 2019

الملخص: الشعرفن من أهم الفنون التي تصدر عن طريق الوجدان، فهو يترجم كل ما يدور في ذات الشاعر من أحاسيس داخلية وخارجية، فهو يعبر عن نفسه وعن الآخرين ليظهر أحاسيس وعواطف مختلفة تتطابق أحيانا مع المتلقي ظاهرا كان أم خفيا، كالأفراح والحزن والحب... وقد شهدت الجزائر عبر القرون عدة شعراء فحول خصوصا في العهد العثماني حيث أبدع فيه الشعراء بالتأثير على المجتمع الجزائري آنذاك بفضل ما يملكه الشعر من قدرة على التأثير في نفوس المستمعين وسعى الشعراء إلى توظيف مختلف الأغراض الشعرية كالوصف والمدح والغزل وغيرها من المواضيع... ولعبوا دورا مهما في رسم صورة جديدة للأدب الجزائري عامة والشعر خاصة.

وتهدف هذه الدراسة التي تحمل عنوان شعراء الجزائر في القرن السابع عشر ميلادي إلى تسليط الضوء على أبر الشعراء الذين ظهروا وعاشوا تلك الفترة ونتطرق أيضا إلى طبيعة الشعر الجزائري آنذاك .
و البيئة التي أسهمت وأسست لبروز هؤلاء الشعراء .

الكلمات المفتاحية: الشعر الجزائري - شعراء الجزائر - القرن السابع عشر ميلادي - العهد العثماني - قضايا الشعر .

¹ المركز الجامعي بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، الجزائر

البريد الإلكتروني: baroudi.bentouir@cuniv-aintemouchent.dz

Summary: Poetry is one of the most important arts that is produced by the way of conscience. It translates everything that is going on in the same poet from internal and external feelings. It expresses itself and others to show different feelings and emotions that sometimes coincide with the recipient, whether visible or hidden, such as joy, sadness and love. During the centuries, Algeria witnessed many poets, especially in the Ottoman era, where poets influenced the Algerian society at the time, thanks to the influence of the poetry on the ability to influence the souls of the listeners, and poets sought to employ various poetic purposes such as description, praise, spinning and other subjects. .. and played an important role in drawing a new image of B public and private Algerian hair.

This study, entitled "The Poets of Algeria" in the 17th century, aims to shed light on the poets who appeared and lived in this period, and also discuss the nature of Algerian poetry at the time And the environment that contributed to the emergence of these poets.

key words: Algerian poetry – poets of Algeria – 17th century AD – Ottoman era – issues of poetry.

المقدمة: لقد كانت الجزائر جزءاً من السلطنة العثمانية العظمى وقد عايشَت معها معظم مظاهر الانحطاط والضعف في الأدب عامة والشعر خاصة وقد كان أكثر الأنواع الأدبية تراجعاً إذ انعدمت فيه الروح الشعرية وأصبح التقليد هو السمة الكبرى في تلك الفترة، ولم يكن هنالك تطوري لفت الأنظار وإنما انحسرت أغراض الشعر وتدنّت قيمته الفنية وعجز الشعراء على التجديد ورفع راية الشعر من جديد، ويرى المؤرخ أبو قاسم سعد الله رحمه الله " أن الشعر في العهد العثماني ما يزال مهملاً لم يتم جمعه و تحقيقه ودراسته، بالرغم من

وجود عدد كبير من الشعراء الفحول الذين ظهروا في هذه المرحلة منهم أبو سعيد المنداسي، وابن علي وابن عمار والمقري وابن حمادوش والمنجلاني، وابن سحنون وغيرهم وقد وقع أهل المغرب في ما نبه إليه ابن خلدون وأنهم أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم " ¹ ولذلك أردنا بهذه الدراسة تسليط الضوء على الشعر الجزائري في تلك الفترة، وبالتحديد في القرن السابع عشر ميلادي الذي يعد أوسط القرون التي عايشتها الجزائر تحت العهد العثماني. ومن خلال هذا الشعر سنتطرق إلى هؤلاء الشعراء الذين تركوا بصمتهم من خلال أشعارهم وجعلوا للشعر الجزائري مكانة وسط الشعر العربي عامة. لذلك نتساءل:

كيف كانت البيئة التي نظم فيها الشعراء شعرهم آنذاك؟

نظرة حول الشعر الجزائري في القرن السابع عشر ميلادي: لم تكن البيئية

في العهد العثماني وبالتحديد في الجزائر تساعد على الإبداع وبرز الأفكار وقول الشعر وحتى أن السياسة العثمانية قد أبقت على الفوضى اللغوية وذلك مما فيها من بربرية وعربية والعاميات كما هو معروف ليست أدوات لتدوين التاريخ وحتى إنها ليست لغة الشعراء أو بالأحرى لغة الشعر التي تجعل منه فنا أدبيا راقيا و" قد تحول التعليم نفسه إلى تعليم ديني بفعل التخلف وكانت التركية هي لغة الإدارة في معظم الأحيان على الأقل في الجهاز المركزي العاصمة " ².

وقد ساد العهد العثماني فعلا انحطاط وركود شأنه شأن باقي الدول العربية حيث لم تبرز حركات تجديد فكرية ولا نهضة علمية بالرغم من أن العربية ظلت لغة التعليم والشعب والشعراء، واتخذت التركية لغة رسمية. و لعل من أبرز ما شهدته البيئة العثمانية والتي أثرت كثيرا في إنتاج الشعر الجزائري خلال تلك القرون عامة والقرن السابع عشر ميلادي خاصة هو إهمال

الاجتهاد والتّجديد حتى إن الأطفال والطلبة كانوا يتوجهون نحو العلوم الدينيّة والشّرعيّة على حساب علوم الأدب وفنونه، وشهدت تلك البيئة ضعف مؤسسات الدّولة العثمانيّة التي تقوم بحمايّة وتعزيز شؤون الثقافة ودعمها فقط إلى جانب العبادات والتّوازل المرتبطة بها خصوصا عند استقرار المجتمع الجزائري في هذه المرحلة مما أثر على الجانب الأدبي والإبداعي.

ولعل من أكثر الأسباب التي أدت إلى انصراف السّكان عن شؤون الأدب والشّعرو " حالة الفقر والعوز التي كانت مخيمة على السّكان ... فمعظم النّاس كانوا يكدون طوال يومهم للحصول على لقمة العيش لهم ولعيالهم"³. وقد شهدت الأوضاع أيضا انصراف الحكم نحو اللهو والمجون وانحسرت كل أعمال البناء والتّشييد التي تلهم الشّعراء وغابت عنهم أذواقهم المستمدة من كل أفعال الحكام لدحهم والافتخار بما قدموه وشيدوه.

ويرى محمد بن عبد الكريم الجزائري " أن الأدب في الجزائر العثمانيّة أصبح شاذا وأشد من شذوذ الأدباء والنّبغاء، ويرجع عامل الضعف الأدب والشّعرو إلى كون الحكومة التّركيّة أعجميّة اللسان لا تفقه شيئا مما يقوله الشّعراء"⁴. وقد كانت الحكومة التّركيّة الأعجميّة لا تحسن سوى صناعة السّلاح وأدوات الحرب لأنها كانت في حرب دائمة مع دول أوروبا وهذا كله جعل مساحة الشّعرو والشّعراء في ضيق وقلت أو بالأحرى جفت الأغراض الشّعريّة وأصبحت لا روح فيها وهذا من ضعف بواعث الأدب بصورة عامة.

إن انحسار الأغراض الشّعريّة جعل رؤية الشّعراء ومكانتهم تدنو وتنحط ويقول ابن زاكور الفاسي " أن الشّعرو صار أسلوبا مستخدما في الحوار بين الفقهاء والعلماء والمعنيين في ضرب من المفاكحة والملاطفة والتّرويح بينهم وقول الألغاز"⁵ وإذا تحدثنا عن الجانب الديني فقد نجد فيه المناسبات المختلفة حول موسم الحج والمولد النبوي الشّريف ومواسم الحصاد وحتى الشّهور فكلها جعلت

من الشعراء يكتبون عنها ويصفون الاحتفال بها وكل تلك العادات والتقاليد السائدة في ذلك العصر.

أما إذا تطرقنا إلى الجانب السياسي فقد نجد الإشارة بالبناء والتعمير والانتصارات التي حققها الحكام وأيضا مختلف الحروب التي خاضوها على دول أوروبا وغيرها.

ويرى أبو قاسم سعد الله " أن الحياة السياسية في الجزائر عندئذ كانت غير مستقرة بالإضافة إلى عدم استتباب الأمر لحاكم ما مدة حكمه هناك الثورات الداخلية التي من أشهرها ثورة التّواودة في الشرق و ثورة الأمّحال في الغرب كما كانت العلاقة بين الجزائر واسطنبول أو باشاوات الجزائر والسلاطين غير جيدة في جملتها"⁶.

كانت بواعث الشعر، والجيد منه على الخصوص قليلة، ومن أهمها بالطبع الباعث الديني. فالشعراء كانوا يسجلون مشاعرهم في المواسم الدينية المعروفة كالحج والموالد النبوي بنظم الموشحات والقصائد ولم يكن ولاية الجزائر يثقون الشعر حتى يشجعوا عليه في الوقت الذي كان فيه الشعر العربي عموما شعر مدح أو شعر ببلاطات فإذا استثنينا حاكمين أو ثلاثة فإننا نلاحظ أن الشعراء لم يجدوا أي تشجيع معنوي أو مادي لقول الشعر. حقا إن النزاع بين الجزائر وإسبانيا كان باعثا لعدد من الشعراء على الدعوة للجهاد وتمجيد النصر وهو باعث سياسي ديني لا غبار عليه. وهناك أيضا مجال الطبيعة وعزة المدن والحنين إلى الأهل والوطن، والمرأة، بالإضافة إلى البواعث الاجتماعية كرشاء عزيز أو تبادل التهاني والتقريظ بالشعر، والتماجن، ونحو ذلك من الأغراض...ورغم هذه الأوضاع إلا أن القرن السابع عشر ميلادي في الجزائر كان عصر ازدهار اقتصادي على ما يذكر المؤرخون مما جعل علماء المسلمين يقصدونها من الشرق والغرب طالبين الرزق ونهل العلم، وغم تأثير الجانب

السياسي على إنتاج الشعر في القرن السابع عشر ميلادي إلا أن هناك مجموعة من الأشعار في رحلة ابن عمار التي طبعت منها بالجزائر سنة 1904 م، وأيضا في مخطوط كبير حققته وقدمه المؤرخ الجزائري أبو قاسم سعد الله ولقد حصل على هذه المخطوطة بواسطة صديقة الباحث الدكتور عباس الجراري حيث يقول في كتابه أشعار جزائرية " حصلت على هذا المخطوط بواسطة صديقنا الباحث الدكتور عباس الجراري أستاذ الأدب بجامعة محمد الخامس بالرباط والمخطوط رقمه ك 1387 بالخزانة العامة بالرباط "⁷ وفي هذه الرحلة والمخطوط الذي حققه الأستاذ أبو قاسم سعد الله نجد مجموعة من الشعراء في الجزائر ما بين القرن السابع والقرن الثامن عشر ميلادي ، ولقد أردنا تسليط الضوء فقط على شعراء الجزائر في القرن السابع عشر ميلادي ولهذا خصصنا لهم هذه الدراسة وأردنا ترجمة لحياتهم وأهم أعمالهم .

ترجمة لشعراء الجزائر في القرن السابع عشر ميلادي: أول من نبدأ به هو الشاعر أحمد المانجلاتي: هو من شعراء الجزائر الذين لا نعلم عنهم الكثير في هذا العصر، رغم إسهامهم في الحركة الأدبية في عصرهم، إنه أبو العباس أحمد المانجلاتي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وعاصر الشيخ سعيد قدورة الجزائري، المتوفى سنة (1066هـ - 1656م). عاش المانجلاتي في مدينة الجزائر فنبغ في قول الشعر، خاصة المديح النبوي. وتعلم أيضا العلوم الشرعية على يد الشيخ محمد بن علي أبهلول المجاجي، أحد مصلحي وعلماء القرن الحادي عشر الهجري. ولكن لم نجد في المديح النبوي سوى بيتين من قصيدة طويلة في المخطوط وأيضا قصيدة سياسية يتحدث فيها عن صديقه المفتي سعيد قدورة الذي نفي من قبل عساكر الجزائر إلى إسطنبول ونجد " قصيدة أخرى تحدد لنا تاريخ حياة المانجلاتي والتي قالها في شيخه محمد بن علي المجاجي بعد مقتله سنة 1002هـ. ومن هذه القصيدة نعرف أن المانجلاتي كان

قد قرأ على الشيخ المحاجي بزواوية بتنس أو مجاجة أواخر القرن العاشر وبداية الحادي عشر "8.

كما أطلعنا محمد بن علي الجزائري، تلميذ المانجلاتي وخلفه في صناعة الشعر على بعض إنتاج أستاذه المانجلاتي، في مجمع ضم عدة شعراء مغاربة ينتمون إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة. واختار الشيخ أحمد بن عمار الجزائري مجموعة من تلك القصائد .
ولعل من أجمل ما قال المانجلاتي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

الرَّكْبُ نَحْوَ الْحَبِيبِ قَدْ سَارَا يُوَدُّ شَوْقًا إِلَيْهِ لَوْ طَارَ
قَلْبِي الْمُعْتَى الْكَيْبُ قَدْ حَنَا إِلَى التَّلَاقِي وَطَالَ مَا أَنَا
إِذَا سَمِعْتُ الْحَمَامَ قَدْ غَنَا أَوْ هَبْ ذَاكَ النَّسِيمُ أَبْكَارَا
كَمْ أَنتَ عَنْ رَكْبِ مَكَّةَ سَاهِي فِي شُغْلِ دُنْيَاكَ وَالْهَى لَاهِي
يَا مَغْرِبِيًّا لَطِيبَةً أَشْتَاقَا مَتَّعْ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ مُشْتَاقَا⁹

أما شاعرنا الثاني هو أحمد ابن عمار: يعد ابن عمار من أبرز أو بالأحرى من القلائل الذين حافظوا على تراث الشعر وأسهموا في وصوله إلينا وهو كان تلميذا لابن علي مما جعله يحب الأدب والشعر الخواص وكان نابغة مثل أستاذه " وابن عمار من كبار علماء القرن 12 هجري في الجزائر ولد حوالي 1119 وعاش إلى ما بعد 1205، وقد تشقّف بالجزائر واستمد العلم والجاه من أسرته أيضا إذ كان والده من علماء الدين. كما كان يستمد من أصوله الأندلسية الأدب والفض وحب الطبيعة والجمال "10.

رجع أحمد بن عمار مرة أخرى في رحلة ثانية إلى مكة المكرمة ؛ حيث جاور بها مدة، ثم عاد إلى الجزائر، وفيها تولّى منصب الفتوى على المذهب المالكي سنة (1180هـ)، واستمر في أداء هذه الوظيفة إلى غايّة سنة (1184هـ)، ثم سافر

إلى تونس سنة (1195هـ) بقصد الاستيطان بها، غير أنه رجع إلى الجزائر مرة أخرى ثم رحل منها إلى مكة مرةً ثالثة، حيث بقي هناك، إلى أن توفي سنة (1205هـ) وقد سمحت الرّحلات المتكررة، التي قام بها ابن عمّار الجزائري إلى الحجاز خاصّةً باشتهاره بين النّاس والعلماء، الذين اتّصل بهم " فأفادهم واستفاد منهم، وكان من بين من لقيهم وعرفهم أيضاً، أبوراس النّاصر المعسكري ومحمّد بن ميمون الجزائري، ومحمّد بن الشّاهد الجزائري، و خليل المرادي الشّامي "11 ولا بن عمّار إسهام في التّأليف نذكر منها لواء النّصر في فضلاء العصر في موضوع التّراجم وديوان شعر في المدائح النّبويّة .

ومما قاله ابن عمار في الشّعر مادحا نفسه هذه الأبيات:

أَدَبٌ يَرِيكَ الرُّوضَ وَقَتَ رَبِيعِهِ	وَتَنَسُّكَ يُدْنِيكَ مِنْ رَحْمَانِهِ
لَعَبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ لِسَانُهُ	وَالْفَصْلُ مَوْقُوفٌ عَلَى تَبْيَانِهِ
فَأَصْبَحَ إِلَيْهِ السَّمْعُ عِنْدَ حَدِيثِهِ	تَسْمَعُ فَصِيحَ الْقَوْلِ مِنْ سَحْبَانِهِ
أَوْ جُلُ بِدَهْنِكَ فِي مَحَاسِنِ نَظْمِهِ	تَظْفَرُ بِحَرِّ الشَّعْرِ مِنْ حَسَانِهِ
مَا خَاضَ يَوْمًا نُطْقُهُ فِي حِكْمَةٍ	إِلَّا اخْتَفَى سُقْرَاطُ بَيْنَ دَنَانِهِ
وَلَهَى بِحِكْمَةٍ هَرْمِسٍ وَبِهَرْمِسٍ	وَسَرَى لَهَا الْإِعْفَاءُ مِنْ طُوفَانِهِ
وَإِذَا تَكَلَّمَ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَعَظَّهُ	جَلَى لَنَا الْبَصْرِيُّ فِي أَرْمَانِهِ
خَدَمَ الْبَلَاغَةَ وَالْبَرَاعَةَ دَهْرَهُ	حَتَّى انْتَنَى وَالشَّعْرُ طَوَّعَ لِسَانِهِ
نَظْمٌ لَهُ تُنْدَفِقُ الْأَدَابُ مِنْ	جَنَابَتِهِ وَالْعِلْمُ مِنْ أَرْكَانِهِ ¹²

و من شعراء الجزائر آنذاك أيضا نجد صديق ابن عمار وهو الشّاعر ابن علي:

هو من أسرة عريقة وقد تولى القضاء والفتوى وهو " محمد بن محمد بن

محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العليج "13 .

نجد أن ابن علي تحدث في المخطوط عن جده ووالده وما قالاه من الشعر ويرجع أبو القاسم سعد الله أن، " ابن علي من مواليد 1090 وأنه تعلم على والده وأسرته وغيرها من مدارس ومساجد الجزائر"¹⁴ ولابن علي قصيدة في فتح وهران وقد أشاد فيها بالدّاي محمد بكراش باشا الذي لم يدم حكمه طويلا وهذه القصيدة كانت لها جودة نسبة القصائد الأخرى وهي ذات موقف سياسي واضح من حكام الجزائر حيث ذكر فيها أيضا كل من كانت له صلة بأخذ الرشوة وحب المال والكسل وقد وصفه معاصره أحمد بن عمّار الجزائريّ بقوله: " سحبان البلاغة، وقسّ البراعة، ومالك أزمة المعاني، ومصرفّ البراعة، فارس الأدب المفرد وحامي ذماره...15" ويقصد بقوله (سحبان البلاغة)، سحبان وائل الذي يضرب به المثل في بلاغة القول، أمّا قول ابن عمّار (قسّ البراعة) فيقصد به قسّ بن ساعدة الإيادي الخطيب المفوّه في العصر الجاهلي. وكذلك لفظ (مالك) الذي يشير به السيّاق إلى الإمام مالك، الذي جمع دقائق الفقه في زمانه، فبرع فيه. وكان ابن عمّار شديد التأثر والإعجاب بشيخه ابن عليّ الجزائريّ، وكان دائم المدح له نثراً وشعراً. لكنّ عبد الرزّاق بن حمادوش الجزائريّ، وصف الرّجل في رحلته لسان المقال في النّبا عن النّسب والحسب والآل خلاف ما سبق، فيقول: " إذ قد دخل علينا الرافل في ثوبه الزّاهي بكبره وعجبه الذي يعدّ الأشراف أرضاً، وأنّ نعله يطأ صفحات خدودهم فرضاً، وإنّه بلغ الغاية القصوى.. ورغبته في الدّنيا، وليس له رغبة في دار القرار مفتي الحنفية بالوقت

ابن عليّ المستحقّ المقت "16

و من أبيات الشّاعر ابن عليّ مادحا صديقه ابن عمار قوله:

فَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ لَأَقَى ابْنَ عَمَّارٍ لَغَصَّ بِشَانِهِ
مَا كُلُّ مَنْ صَاغَ الْقَرِيضَ يُجِيدُهُ مَعْنَى وَيَصْرِفُهُ عَلَى أَوْزَانِهِ
إِلَّا ابْنَ عَمَّارٍ فَحَسْبُكَ مِنْ فَتَى زَانَ التَّشْيِيدِ وَعُدَّ فِي أَعْيَانِهِ

قَدْ هَمَّتْ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ وَلَيْتَنِي وَافَيْتُهُ كَالطَّيْرِ فِي طَيْرَانِهِ
فَعَلَيْهِ مِنِّي مَا حَيَّيْتُ نَحْيَهُ تُزْرِي بِعَرَفِ الْبَانِ فِي إِبَانِهِ
وَتَحْلُنِي مِنْهُ مَحَلَّ شَقِيقِهِ أَوْ كَالشَّقِيقِ الْغَضِّ مِنْ نَعْمَائِهِ¹⁷

وقد اشتهر ابن علي أيضا بغرض الغزل فنجده يقول:

كُلُّ يَوْمٍ أَرَاكَ تَزْدَادُ حُسْنًا وَأَرَى مُهْجَتِي تَذُوبُ وَتَفْنَى
كَيْفَ لَمْ تَنْعُطْ لَوْصَلِ مُحِبٌّ وَهُوَ حَقًّا يَرَى قَوَامَكَ غُصْنًا
حَرَمَ الْحُسْنِ قَدْ قَصَدْتُ وَلَكِنْ نَ فُؤَادِي لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْهُ أَمْنًا
ادْعَيْتِ الْهَوَى وَصَيْرْتِ رُوحِي عِنْدَ رُوحِي لِيَصْدُقَ دَعْوَايَ رَهْنًا
عَالِجِ الصَّبِّ مِنْ جَوَاهِ بَوْصَلٍ يَا طَبِيبَ النَّفْسِ حِسًّا وَمَعْنَى
فَالِدَوَاءِ الدَّوَاءِ قَدْ طَالَ سَقَمِي أَيْنَ تَرِيَاقَكَ الْمُرْكَبَ أَيْنَا¹⁸

و نسلط الضوء على شاعر آخر لا يقل أهمية عن هؤلاء ، وممن عاصرهم في

القرن السابع عشر ميلادي

وهو الشاعر محمد القوجيلي: هو من أبرز شعراء الجزائر خلال القرن السابع عشر ميلادي، ونجد قصائد وقطع اختارها له ابن علي "وقد قرأ على الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري المغربي نزيل الجزائر، وعاصر أحداث هامة مرت بها البلاد خلال النصف الأول من ذلك القرن"19و للقوجيلي شعر في أغراض مختلفة منها المدح والثناء والغزل والوصف، ويبدو أنه شاعر اجتماعي.

ويبدو أن القوجيلي كان مشاركا في الحياة السياسية، فقد كان قاضيا شهيرا " ووجدناه بتونس في مهمة لا ندري ماهي سنة 1065 . كما وجدناه يقود وفدا في نفس السنة إلى اسطنبول طالبا من السلطان والمفتي هناك التدخل لترجيح كفة يوسف باشا في الجزائر على خصومه"²⁰ ويرى المؤرخون أن وفاة القوجيلي كانت سنة 1080 وقد ترك بعض التأليف نذكر منها (عقد

الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع) وقد قصد بالجامع صحيح البخاري . وتعتبر قصيدته التي قدم فيها الوفد ومهمته إلى مفتي اسطنبول من أجود شعره .

ويظل محمد القوجيلي أبرز شعراء الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م)، وله وله أبيات رائعة كقوله:

أهل الفصاحة غيبتهم لا فصيح يرى يُجيد نظم الكلام يُذهل الفكر
بكت لهم ولنظم الشعر باكية وحُق أن يندب الأطلال والأثر
مصيبة الجهل أدهى محنة نزلت بالمرء لما غدا قد أشبه البقرا²¹

و من شعراء القرن السابع عشر ميلادي نجد محمد بن رأس العين:

هو من شعراء الموشحات ومن شعراء الهزل والمجون أيضا وقد عاش في القرن الحادي عشر هجري وكان أندلسي الأصل وذو مذهب مالكي، " كما وجدنا خطه على نسخة من الكتاب

(رقم الحلل) لابن الخطيب، تعود إلى سنة 1058 ومعنى ذلك أنه كان ما يزال حيا عندئذ " ²² نجد أن الموشح الذي تركه كان في الغزل وقليل من المدح ونجد له قطعة أيضا يتغنى فيها بالدخان (الذي يسميه تباغة)، ويبدو أن محمد بن أحمد بن رأس العين، الذي لا نعرف عنه إلا القليل والذي كان محل تقدير الشعراء والعلماء، ممن اشتهر بشعر المجون، ففي الوقت الذي كان فيه الفقهاء يلعنون شجرة الدخان ويفتون بعدم شربها أو تدخينها، كان ابن رأس العين يسخر من فتوَاهم ويخاطب (التباغة) كما يخاطب الخمر المحرمة وينادي النادل أن يسقيه إياها في غليون ممتاز لأن شربها في الليل في جلسات السمر مع الإخوان ينعش النفس والفضاد، وهو يقول للنادل إن الفتوى بعدم شربها كلام باطل، وإنها عنده حلال طيب، وأن ضوعها يغني عن الصباح، وإن

تعاطيها لا يفسد العقل كما يزعمون، وأن من لم يشربها لا يدرك حقيقتها
وهذا في أبياته التالية:

اسقنيها تباغية تجالِي في حلقى السببى
شربها في الدجا مع الإخوان جالس بالأنس
اسقنيها ودع كلام السّلاح فهو عندي محال
لا تعطل شرابها يا صاح فهي عندي حلال
شمعها يغني عني الصباح في ظلام الليال²³

و من الواضح أن ابن رأس العين متأثر بالمدرسة الأندلسية في نظم الموشحات .
و آخر الشعراء الذين نختم بهم . هو محمد سعيد الشّباح: يعتبره أبو
القاسم سعد الله من أكثر الشعراء خمولا لأن معلومات الدّارسين عنه ضئيلة
جدا . ولولا وجود قصيدته في الاستنجد بوالدّ ابن علي لما عرف عنه الباحثون
شيئا . وهذه القصيدة لا تقدمه شاعرا ماهرا له باع ط ويل في صناعة الشعر .

" وعلى كل حال فهو من مدينة تنس وعاش في تلمسان . ويبدو أنه كان يتردد
على مدينة الجزائر . حيث نجد له اتصالات ومراسلات مع زميله ابن رأس العين
وهناك تاريخ واحد وجدناه يساعدنا على تحديد زمنه وهو سنة 1051هـ²⁴

ولقد عاش إذا محمد سعيد الشّباح في القرن السابع عشر ميلادي الذي
يقابله القرن الحادي عشر هجري وقد وجد خطه على نسخة من كتاب (سحر
البلاغة وسر البراعة) لأبي منصور الثعالبي . والقصيدة التي كتبها لوالدّ ابن
علي كانت بعد ذلك التاريخ بمدة . لأن الذي كان في الفتوى سنة 1051
هجري من عائلة ابن علي هو الشّيخ محمد المهدي وقد تكون تلك القصيدة
قيلت حوالي سنة 1069 هجري .

ونذكر أبياتا لقصيدته التي وجهها إلى والد ابن علي مستغيثا ومستنجدا
له:

خضعت لكر لحاظك الأبطال وعنت لفضل رضا بك الجريال
ما غازلت تلك اللحاظ وصارت مت إلا وحامت قربنا الأجال
رشا عليه الحسن ألقى خلعه فتضاغت في حبه الآمال
قد جمعت فيه المحاسن كلها فتفرقت في وصفها الأقوال
في قده وخدمه ورضاه به ال بان والنعمان والسلسال
ماذا أفصل من ملاحظته وفي تفصيل باهر حسنه إجمال²⁵

إن دواوين الشعراء الجزائريين في العهد العثماني عامة والقرن السابع عشر
ميلادي خاصة ما تزال في طي الكتمان، ولا نعرف أن واحدا منها، مما يعود
إلى العهد العثماني، قد جمع وحقق، وما نشر عن المنداسي في هذا الصدد لا
ينقض هذا الرأي، فدواوين المنداسي وابن علي وابن عمار والمقري والمناجلاتي
وابن سحنون وابن الشاهد وأضرابهم لم تنشر أو تعرف بعد. وكل ما نعرفه عن
هذا الشاعر أو ذاك هو بعض الأبيات أو القصائد المثبتة عرضا في أحد المصادر
التاريخية أو الفقهية أو المتفرقة في الوثائق العامة، ولعل ظاهرة الإهمال للشعر
وأهله، تؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون من أن أهل المغرب العربي قد أضاعوا رواية
أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم .

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- 1 - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1958
- 2 - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1998 ج 2
- 3 - أحمد بن عمار - نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب - مطبعة فونتانا - الجزائر
- 4 - ابن زاكور الفاسي - نثر أزهار البستان فيمن أجاز في الجزائر وتطوان - مطبعة فونتانا - الجزائر
- 5 - بن ميمون محمد الجزائري - التَّحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية - تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم - الجزائر
- 6 - عبد الرزاق بن حمادوش - رحلة ابن حمادوش الجزائري - المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال - ترجمة أبو القاسم سعد الله - المكتبة الوطنية والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر

المراجع:

- 1 - أبو القاسم سعد الله - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - دار البصائر - الجزائر - دط - 2007 ج 5
- 2 - أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر
- 3 - محمد بن عبد الكريم - المقرئ وكتابه نفح الطيب - دار مكتبة الحياة - لبنان -

دت

الإحالات:

- 1- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1958 - ص 247
- 2- أبو القاسم سعد الله - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - دار البصائر - الجزائر - دط - 2007 - ج 5 - ص 90
- 3- بن ميمون محمد الجزائري - التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية - تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم - الجزائر - 1972 - ص 57
- 4- محمد بن عبد الكريم - المقرئ وكتابه نفح الطيب - دار مكتبة الحياة - لبنان - دت - ص 42
- 5- ابن زاكور الفاسي - نشر أزهار البستان فيمن أجاز في الجزائر وتطوان - مطبعة فونتانا - الجزائر - 1902 - ص 44
- 6- أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ص 15 - 16
- 7- المرجع نفسه - ص 09
- 8- المرجع نفسه - ص 31
- 9- أحمد بن عمار - نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب - مطبعة فونتانا - الجزائر - ص 31 - 35
- 10- أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - ص 24
- 11- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1998 - ج 2 - ص 233 - 234
- 12- أحمد بن عمار - نحلة اللبيب - ص 45 - 47
- 13- أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - ص 21
- 14- المرجع نفسه - ص 22
- 15- أحمد بن عمار - نحلة اللبيب - ص 35
- 16- عبد الرزاق بن حمادوش - رحلة ابن حمادوش الجزائري - المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال - ترجمة أبو القاسم سعد الله - المكتبة الوطنية والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ص 256
- 17- أحمد بن عمار - نحلة اللبيب - ص 45
- 18- أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - ص 27

- 19 - المرجع نفسه - ص 28
- 20 - أحمد بن عمار - نحلة اليبب - ص 79
- 21 - أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - ص 139
- 22 - المرجع نفسه - ص 29
- 23 - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقاف - ج 2 - ص 267
- 24 - أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - ص 30
- 25 - المرجع نفسه - ص 107.